فِي هَذِهِ الدُّنْيا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ

قال مَعَنُ ابْنُ زائِدَةَ: أَنَّ الـمَنْصورَ جَدَّ في طَلَبي وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُني إِلَيْهِ مالاً، فَاضْطُرِرْتُ لِشِدّةِ الطَّلَبِ إِلى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتّى لَوَّحَتْ وَجْهي، وَخُفِّفَتْ عارِضي وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صوفٍ، وَرَكِبْتُ جَمَلاً وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهاً إِلى البادِيةِ لأُقيمَ بِها، قالَ: فَلَمّا خَرَجْتُ مِنْ بابِ حَرْبٍ، وَهُوَ أَحَدُ أَبْوابِ بَغْدادَ، تَبِعَني أَسْوَدُ مُتَقَلِّدٌ بِسَيْفٍ، حَتّى إِذا غِبْتُ عَنِ الحَرَسِ قَبَضَ عَلى خِطامِ الجَمَلِ فَأَناخَهُ، وَقَبَضَ عَلى يَدَيَّ.

فَقُلْتُ لَهُ: ما بِكَ؟

فَقالَ: أَنْتَ طَلَبَةُ أَميرِ الـمُؤْمِنينَ.

فَقُلْتُ: وَمَنْ أَنا حَتّى أُطْلَبُ؟

فَقالَ: أَنْتَ مَعَنُ ابْنُ زائِدَةَ.

فَقُلْتُ لَهُ: يا هَذا اتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَيْنَ أَنا مِنْ مَعَنٍ؟

فَقالَ: دَعْ هَذا، فَوَاللهِ إِنّي لأَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ.

فَلَمّا رَأَيْتُ مِنْهُ الجِدَّ قُلْتُ لَهُ: هَذا جَوْهَرٌ قَدْ حَمَلْتُهُ بِأَضْعافِ ما جَعَلَهُ الـمَنْصورُ لِمَنْ يَجيئُهُ بي، فَخُذْهُ وَلا تَكُنْ سَبَباً في سَفْكِ دَمي.

قال: هاتِهِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ فيهِ ساعةً وَقالَ: صَدَقْتَ في قِيْمَتِهِ، وَلَسْتُ قابِلَهُ حَتّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنْ صَدَقْتَني أَطْلَقْتُكَ.

فَقُلْتُ: قُلْ.

قالَ: إِنَّ النّاسَ قَدْ وَصَفوكَ بِالجودِ، فَأَخْبِرْني هَلْ وَهَبْتَ مالَكَ كُلَّهُ قَطُّ.

قُلْتُ: لا

قالَ: فَنِصْفَهُ

قُلْتُ: لا

قالَ: فَثُلُثَهُ

قُلْتُ: لا، حَتّى بَلَغَ العُشُرَ، فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ: أَظُنُّ أَنّي قَدْ فَعَلْتُ هَذا

قالَ: ما ذاكَ بِعظيمٍ، وَأَنا وَاللهِ راجِلٌ وَرِزْقي مِنْ أبي جَعْفَرِ الـمَنْصورِ كُلَّ شَهْرٍ عِشْرونَ دِرْهَماً، وَهَذا الجَوْهَرُ قِيْمَتُهُ أُلوفُ دَنانيرَ، وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجودِكَ الـمَأْثورِ بَيْنَ النّاسِ، وَلِتَعْلَمْ أَنَّ في هَذِهِ الدُّنْيا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ، فَلا تُعْجِبْكَ نَفْسُكَ، وَلِتَحْقِرْ بَعْدَ هَذا كُلَّ جودٍ فَعَلْتَهُ وَلا تَتَوَقَّفْ عَنْ مَكْرَمةٍ، ثُمَّ رَمى العَقْدَ في حِجْري وَتَرَكَ خِطامَ الجَمَلِ وَوَلّى مُنْصَرِفاً.

فَقُلْتُ: يا هَذا، قَدْ وَاللهِ فَضَحْتَني وَلَسَفْكُ دَمي أَهْوَنُ عَلي مِمّا فَعَلْتُ، فَخُذْ ما دَفَعْتُهُ لَكَ فَإِنّي غَنِيٌّ عَنْهُ، فَضَحِكَ وَقالَ: أَرَدْتُ أَنْ تَكْذِبَني في مَقالي هَذا، وَاللهِ لا أَخَذْتُهُ ولا آخُذُ لِمَعْروفٍ ثَمَناً أَبَداً، وَمَضى لِسَبيلِهِ، فَواللهِ لَقَدْ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُ، وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَجيءُ بِهِ ما شاءَ، فَما عَرَفْتُ لَهُ خَبَراً، وَكَأَنَّ الأَرْضَ ابْتَلَعَتْهُ.

İbn Hallikân, *Vefeyâtu'l-A'yân*, Tah. İhsân Abbâs, Beyrut 1994, c.5, s. 46.